مستقبل الشباب فى التفكير الابتكارى

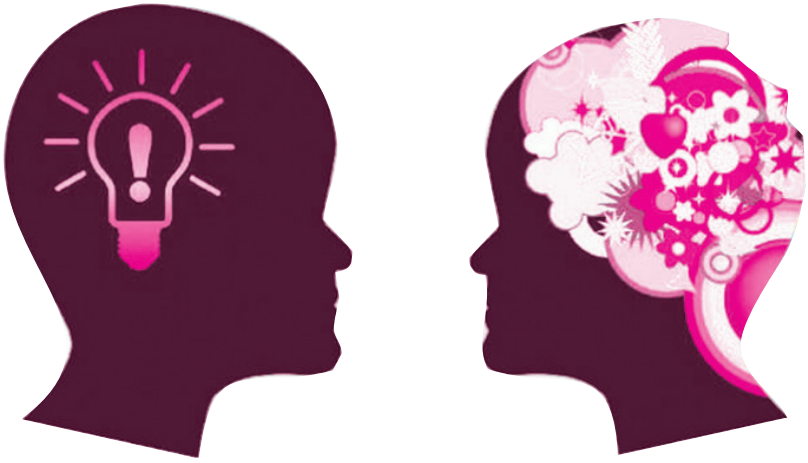

منذ ظهور نظرية جيلفورد (١٩٥٥) عن البناء العقلى الإنسانى وأهميته فى التفكير الابتكاى، زاد الاهتمام بهذا التفكير بوصفه نوعاً من التفكير الافتراقى الذى يتطلب توظيفا لعدد من القدرات الابتكارية التى تتمثل فى الأصالة والمرونة والطلاقة والحساسية للمشكلات ومواصلة الاتجاه الابتكارى والتفاصيل والإتقان والحل الابتكارى لمشكلات ضعيفة البناء .

حيث ظهرت اتجاهات متعددة لتفسير العملية الابتكارية.. من هذه الاتجاهات اتجاه تبنّاه بروتش (١٩٨٨)، الذى يؤكد على عدم قصر مفهوم الابتكار على عملية التفكير الافتراضى، بل يشمل عددا من العمليات العقلية والوجدانية والاجتماعية مثل عملية اتخاذ القرار والتفكير الناقد والوعى بالعمليات المعرفية، أى ما يُسمى بالوعى بالعمليات الإبداعية الابتكارية meta-creativity ، بمعنى آخر وعى «الشباب المبتكر» بعمليات التفكير الخاصة به وبحالاته الوجدانية فى المواقف التى تتطلب إنتاج حلول إبداعية للمشكلات ضعيفة البناء، فأداء هذا الشباب فى حل المشكلات ضعيفة أمام أداء مميز، فالتفكير الابتكارى يرتكز أساسا على إنتاج الأفكار الجديدة ولا يهتم بتقييمها، فلا ينبغى بالضرورة أن يكون الإنسان المبتكر منطقيا، فالتفكير الناقد يعتمد على تقييم الأفكار واكتشاف الأخطاء فى الأفكار ونماذجه أقدم من نماذج التفكير الابتكارى، لأنه ينبع من الفلسفة والمنطق، أما التفكير الابتكارى فينبع من علم النفس، وهذا ما أكده كل من «ألكس أوسبورن ، وجوردون».

كما أن اتجاه «كيرتون» يعتمد على متصل أحد طرفيه يمثل التواؤم، والطرف الآخر يمثل التجديد، فالشباب المبتكر هو الشباب المتجدد الذى يأتى بأسلوب الحل الابتكارى والتجديدى للمشكلات التى تقابله خاصة المشكلات ضعيفة البناء فيقوم بإعادة بنائها وتنظيمها ورؤيتها بزوايا جديدة فى ضوء «الرؤية الإبداعية» متعددة الجوانب وليس جانبا واحدا متحررا من المألوف ويأتى بالجديد فهو يعنى بالكيف فى الإبداع ويميل إلى الثبات عبر الزمان والمواقف المختلفة، لذا فهو يعتبر خاصية أو سمة مميزة لشخصية الشباب الناضج العصرى الذى يتعلق بكيفية تناول المشكلة وحلها بأسلوب إبداعى مميّز وتجديدى.

أما الشباب ذو التفكير التقليدى «الخامل» فهو شباب متوائم لا يأتى بالجديد، شباب ملتزم فى حل المشكلات محكمة البناء بالقواعد التقليدية المتعارف عليها لدى المجتمع، فرؤية هذا الشباب الخامل فى حل المشكلات محكمة البناء رؤية أحادية تتمثل فى حل واحد لجانب واحد منها فقط حل تقليدى لا يأتى بالجديد، يتمثل فى إدخال تحسينات على ما هو موجود من قبل ، فأداء هذا الشباب الخامل أداء يمثل أقصى أداء لديه فالتفكير الابتكارى قدرة مركبة تتكون من مجموعة من القدرات الابتكارية منها.

الطلاقة : وهى تمثل الحل التباعدى للمشكلات تحت ظروف قلة المعلومات وتحدد كما بعدد الأفكار التى تصدر عن الشباب المبدع وهى ثلاثة أنواع : منها طلاقة لفظية التى تشير إلى القدرة على إنتاج أكبر عدد من الألفاظ وهى تمثل الحل التباعدى للمشكلات تحت ظروف قلة المعلومات بشرط أن تتوافر فى اللفظ خصائص معينة، وهناك طلاقة التداعى ويقصد بها القدرة على إنتاج أكبر عدد من الألفاظ تتوافر فيها شروط معينة من حيث المعنى ، أما طلاقة الأفكار فتتحدد بذكر عدد من الأفكار فى زمن معيّن محدد.

المرونة : وهى تدل على القدرة على التغيير وهى نوعان : مرونة تكيفية تتمثل فى قدرة الشباب على تغيير وجهتهم الذهنية تجاه المشكلة أو الموقف الصعب، ومرونة تلقائية وهى تتمثل فى الانتقال من فئة إلى فئة أخرى ، أى من مشكلة إلى أخرى أو من حل إلى آخر للمشكلة أو الموقف.

الأصالة : تدل الأصالة على إدراك الأشياء فى صورة غير مألوفة أو العلاقات النادرة، كما يقصد بها إنتاج أكبر عدد من الأفكار الأصيلة أو الطريقة المميّزة الفريدة، وتتسم الفكرة بالأصالة إذا كانت متميّزة وغير شائعة ونادرة ، كما تتصف بالجدة، ولا تعنى الجدة أن أحدا لم يفكر فيها من قبل، بل يقصد بها أن الفرد قد توصل إلى ما توصل إليه دون اطلاعه أو معرفته لذلك أو دراسته، بل توصل إلى ذلك بفكره المحض.

الحساسية للمشكلات: وتعنى رؤية الشباب المبدع للمشكلات بزوايا مختلفة عن الشباب ذى التفكير التقليدى، أى الرؤية الإبداعية للمشكلات بحيث يرى الموقف برؤية إبداعية لا يراه غيره بهذه الرؤية.

فكن أيها الشباب ذا تفكير ابتكارى أصيل فى القرن الحادى والعشرين حتى تعيد بناء حضارة مصرنا الحبيبة كما فعل شباب مصرنا الفرعونية القديمة فى قرون ما قبل التاريخ.

وصدق الله العظيم اذ يقول (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) [مريم :١٢]

ويقول أيضاً : (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً) [القصص:١٥]

د. إبراهيم محمد المغازى
قسم علم النفس - جامعة بور سعيد ،
عضو المجلس العربى للأخلاق والمواطنة